# معنى التفوق الأمريكي وتأثيره في الشرق الأوسط

هنري س. بينين

**ألقى البروفيسور: هنري س. بينين رئيس جامعة نورث ويسترن، في ٢٢ مارس ٢٠٠٢م في مركز موشي ديان لدراسات الشرق الأوسط وإفريقيا، محاضرة حول تأثير التفوق الأمريكي في الشرق الأوسط، قال فيها:**

الجدال الدائر في الولايات المتحدة الأمريكية سيكون هو نفسه موضوع الجدال الذي سيدور في أثناء الانتخابات الأمريكية، والذي لن يكون أفضل الأوقات لجدال أجهزة المخابرات حول السياسة العامة، وربما لن يكون بالفعل من أفضل الأوقات؛ ولكنه ذلك المناخ السياسي الذي ستحدث فيه أهم مناقشة سياسية حاسمة، وإنه حقاً ذلك الجدال الذي يظهر ويخبو منذ تم تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك حول (الدور الأمريكي في العالم). ولكنه جدال في مناخ مختلف، وهو المناخ الذي تغير كلية منذ أن مرت الولايات المتحدة الأمريكية بهجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، والذي يُعَدّ فترة فاصلة في التاريخ الأمريكي كله، كما أحب أن أؤمن وأدَّعي.

لقد بدأ ذلك الجدال يتشكل في صورته الحالية مع انتهاء فترة الحرب الباردة، ولكنه وصل إلى ذروته بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ثم بعد الرد الأمريكي على تلك الهجمات؛ أولاً في أفغانستان وبعدها في العراق. وكان مما يؤجج ذلك الجدال أيضاً وثيقة الرئيس بوش لاستراتيجيات الأمن القومي في عام ٢٠٠٢ م، والتي فهمت أنها مجرد طريقة ساذجة لشد الانتباه إلى النقاط التالية، وأنا لا أعرف إذا ما كان زملائي من الإسرائيليين العاملين في وزارة الخارجية قد قرؤوا تلك الوثيقة أم لا، ولا أعرف إذا ما كان آخرون قد رأوها أو لا، فهي وثيقة قصيرة جداً حيث يبلغ طولها حوالي ٤٠ صفحة فقط، ولكنها وثيقة مهمة جداً، **وتؤكد عدداً من النقاط المهمة:**

١- يجب أن تظل الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة في العالم، والتي لا يمكن تحدّيها.

٢- ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ العديد من الإجراءات الأحادية الجانب؛ عندما تحتاج إلى حماية أمنها القومي.

٣- ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بعدد من المبادرات الوقائية عند الحاجة.

إن مصطلحي (الوقاية، والمنع) يتم استخدامها اليوم بالتبادل، ولا أظن أنهما مترادفان، فإن مصطلح «المبادرات الوقائية» هو ذلك المصطلح الذي استخدمته وثيقة الرئيس للأمن القوميّ، وهو يعني اتخاذ التدابير الوقائية، ولكن ليس فقط عندما تصبح الحرب على الأبواب، وذلك هو الفرق، فإن الحرب المانعة هي حرب مثل التي تدور هنا، وكما في أثناء فترة الستينيات عندما أوشكت الحرب على الاندلاع، فأنت تبدأ بالضرب عندما تعلم أن تهديدات قد باتت وشيكة.

أما «المبادرات الوقائية» فتعني وجود نوع من التهديد؛ لذلك فأنت تبدأ التحرك قبل أن يتم تنفيذ ذلك التهديد.

ويدور جزء كبير من ذلك الجدال في الولايات المتحدة الأمريكية حول ما يُسمَّى «بحرب الإرادة»، لقد كانت العراق هي «حرب الإرادة» للولايات المتحدة الأمريكية سواء أكانت ترجح خيار الحرب أم لا، فإن «حرب المبادرات الوقائية» تشبه الحرب الاختيارية إلى حد كبير.

إن مفهوم «حرب المبادرات الوقائية»، كما جاء في وثيقة الرئيس للأمن القومي، كان حوالي سطرين، وبالفعل فقد قال كولن باول وزير الخارجية الأمريكي - في حديث له بمجلة «فورين أفايرز» الشؤون الخارجية في عددها الصادر في الشتاء-: إن البعض قد أخطأ في فهم وثيقة الرئيس للأمن القومي؛ فإن من انتقدوها لم يستطيعوا فهمها؛ وذلك لأنهم قد ركزوا على الطبيعة الأحادية والوقائية للإرادة الأمريكية في التصرف، بينما تقول الإدارة: «لقد كنا دائماً نرغب في وجود شركاء، ودائماً كنا نرغب بوجود ائتلافات». لكن ذلك المصطلح الذي تستخدمه إدارة الولايات المتحدة الأمريكية هو «ائتلاف الإرادة»، والائتلافات التي تتحدث عنها تلك الإدارة ليست إلا مجرد ائتلافات خاصة تتجمع من أجل قضايا محددة، وذلك يختلف عن نظام الحلفاء، مثل حلف شمال الأطلنطي، وتلك هي أفضل مقارنة يمكنني الوصول إليها.

ولا أعتقد حقيقة أنه كان هناك سوء فهم حول تلك الوثيقة، ولكن الكثير من الجدل سيدور، وذلك بسبب الفوضى التي سببتها حرب العراق، وإلى حد ما تلك الحرب في أفغانستان؛ وذلك لأن إعادة بناء كلا البلدين كان وسيظل أمراً استثنائياً وفوضوياً وصعباً ، ولا أعرف كيف يزعم شخص آخر أنه قد يكون خلاف ذلك، ولكن يوجد بالفعل كثير من الناس يظنون أنه قد يكون سهلاً . أما في العراق أيضاً فقد قاموا بتذكية ذلك الجدال، وقد أسموه «غياب الشرعية»؛ وذلك بسبب غياب دعم الأمم المتحدة عن تلك الحرب التي شنتها أمريكا على العراق.

وعلى كل حال؛ فقد قامت الإدارة بتغيير اهتماماتها إلى حدٍّ ما، فهي اليوم تريد المزيد من الحلفاء ليشاركوها في أعبائها المتزايدة في العراق، كما تريد أيضاً الحصول على موافقة الأمم المتحدة لإكساب عملية إعادة إعمار العراق الصبغة الشرعية، وذلك ليس لسبب آخر غير التعامل مع الأحزاب العراقية المناضلة، وذلك هو الدور الذي ادخروه للأمم المتحدة، والذي سيكون -على ما أعتقد- في أهمية باقي السلطات نفسها وخصوصاً السلطة الأوروبية، ولكن ذلك ليس حصرياً لكي تذهب إلى العراق وتشارك في تلك الأعباء مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا فالمناخ الخاص في العراق وبدرجة أقل منه ذلك المناخ الذي يسود أفغانستان؛ يضع الولايات المتحدة في مشكلة كبيرة؛ وذلك بسبب ثقلها في العالم، وذلك هو ما تريد أن تقدِّمه وثيقة استراتجيات الأمن القومي لنا.

وأريد التركيز على ما أسميته أنا وزملائي «قضية الأولوية الأمريكية»، ونقوم بربطها مع صراعات الشرق الأوسط، وذلك بإعطاء مثال على كيفية تفكيري في طريقة سير ذلك الجدال عالمياً ، وبين الصفوة، وصفوة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية. فأنا متورط في مهمتين للقوة: إحداهما في مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية، والذي يركِّز على ما يُسمّى بحقيقة الأولوية الأمريكية، والأخرى في مجلس نيويورك للشؤون القانونية، وذلك في إطار إعادة إعمار مجتمعات ما بعد الصراع، والتي تقع في العراق، ولكنها ليست قاصرة على قضية العراق.

ولكن إذا ما كنت تستطيع تحمّلي قليلاً ، فقبل العودة للحديث عن تلك المواضيع أريد أن آخذك معي في جولة سريعة في العالم منذ تلك الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٨٠م، ثم نتبعها بالحديث عن الفترة الحالية، وذلك حيث إني أعتقد أنه

المناخ المناسب لفهم مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في أثناء دخولها إلى تلك الفترة الجديدة، والجدال الذي يدور حول دور الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، وذلك في إطار الأولوية الأمريكية.

إن ما أريد إثباته هو أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى بدء فترة الثمانينيات؛ أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تميل إلى رؤية سياستها الخارجية في إطار الأمن القومي؛ بدلاً من تلك التفسيرات الضيقة، وما أعنيه بالأمن القومي هو أنهم يفهمون سياستهم الخارجية من خلال إطار المنافسة الحامية بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي قبل انهياره؛ ويرون أن المنافسة في الإطار العسكري أو حتى بدون استخدام الأسلحة العسكرية. فإذا ما نظرت إلى تلك المناقشات حول المكاسب القومية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ففي تلك الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى بدء فترة الثمانينيات؛ فسوف تستطيع أن ترى أن المكاسب القومية قد تم إعادة تعريفها عدة مرات في إطار الأمن القومي، حيث كانت هناك التهديدات النووية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية نفسها، ذلك بالإضافة إلى كل من التهديدات العسكرية السوفييتية في أوروبا، وذلك الاهتمام الجانبي بنمو قوة الصين في شرق آسيا.

ولكن مع مرور فترة السبعينيات تدهور معدل الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة الإنتاجي، وسقط من بين الأنصبة المرتفعة جداً ، فعندما تنظر إلى أي رسم بياني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تجد الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك حوالي من ٤٠-٤٥٪ من إجمالي الإنتاج العالمي؛ وكانت تعد حصة كبيرة للتجارة العالمية؛ وذلك لأن الاقتصاد الأوروبي كان في تراجع مستمر مثلما كانت اليابان وشبه الجزيرة الكورية، وهكذا فإن أمامك ظاهرة تاريخية تثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية كان لها نصيب كبير في الإنتاج العالمي، وانظر إلى التماثيل التذكارية لكل من أتشيسون، وترومان، ومارشال، وكل هؤلاء الذين شيدوا مؤسسة برينتون وودز بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كانوا واعين لكيفية تلاشي تلك السيطرة الأمريكية عن الاقتصاد العالمي، وكوَّنوا ببطء مجموعة من المؤسسات التي تسمح لأوروبا واليابان بالازدهار اقتصادياً .

وكما انخفضت معدلات الإنتاج الأمريكية انخفضت معها معدلات الإنتاج العالمية، وأعتقد أنها قد انخفضت بمعدل انخفاض سريع في تلك الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهكذا حتى وصولنا إلى فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وخصوصاً مع ارتفاع اليابان قوة اقتصادية عظيمة، وتبدل الاهتمام بما يُسمَّى باقتصاد Rustbelt والذي ميز الجزء الغربي لأمريكا الصناعية.

وهنا تشعر بأن ذلك الاهتمام يتحرك بعيداً جداً وبسرعة جداً ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تخسر الكثير في المجال الاقتصادي، ومع أنه كان يبدو مجرد اهتمام قصير الأجل، لكنه أعاد صياغة ذلك الجدال إلى درجة ما بعيداً عن الأمن القومي إلى ذلك الاهتمام بالمصالح القومية بطريقة تقليدية، بتلك الطريقة التي طالما فكرت بها القوى الأوروبية حول مصالحها القومية؛ وذلك في إطار الأسهم التجارية وفي إطار المنافسة الاقتصادية.

والمثير للدهشة أنه في الوقت الذي كانت تلك الفترة تتقدم فيه كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك اقتصاداً ، والذي بطريقة ما سيصبح أكثر اعتماداً على التجارة العالمية والوظائف وإجمالي أرباح التجارة من الإنتاج الأمريكي، والذي ارتفع واهتم به الناس، ولكن كان ذلك في سياق مختلف إلى حد ما، ألا وهو إلى أي مدى ستكون الولايات المتحدة الأمريكية منافساً ؟ وهكذا؛ فإن كلاً من التجارة والوظائف كانا مرتبطين بالاقتصاد العالمي وبالولايات المتحدة الأمريكية.

ويوجد جزء آخر مهم جداً ، ألا وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت تدين العالم، بعد ما كانت مدينة للعالم كله، بسرعة كبيرة أكبر من أي

دولة أخرى مرت بالظروف نفسها أو حتى أي اقتصاد كبير. والآن وإلى حدٍّ ما فقد ظهر ريجان الصناعي، أو ما أسميه بسياسة ريجان فولكر لمعدلات الأرباح المرتفعة، فقد ارتفعت معدلات أرباح الولايات المتحدة الأمريكية للتماشي مع العجز الأمريكي، فقد كانت معدلات أرباح المدخرات الأمريكية منخفضة جداً ، وقد موَّلت الولايات المتحدة الأمريكية نموها باستخدام أسلوب الاقتراض، واستمرت في تمويل نموها عن طريق الاقتراض، وسوف نتحدث عن تلك المدخرات خلال لحظات.

وكلما تركنا السبعينيات وتوغلنا في الثمانينيات، نجد الولايات المتحدة الأمريكية تبدأ في التفكير في سياساتها الخارجية العالمية ومصالحها القومية بطريقة سياسية اقتصادية، وأحياناً باستخدام المصطلحات التجارية والاقتصادية، ثم تسارعت تلك الحركة مع انهيار الاتحاد السوفييتي في أواخر فترة الثمانينيات وأوائل التسعينيات، ولذا أصبح مفهوم التهديد مختلف جداً داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وظهر ما أسميته بالتوسع في السياسة الخارجية، أولاً في القضايا الاقتصادية، وكانت هناك مجموعة أخرى من القضايا التي ظهرت كالدفاع عن قضايا حقوق الإنسان.

أما إدارة الرئيس كلينتون فكانت تهتم كثيراً بقضايا حقوق الإنسان، وقد بدأ الشعب يقلق كثيراً حيال الاهتمامات البيئية العالمية، وقد تغيَّر ذلك كله بعيداً عن الأمن القومي ولم يكن يتحرك فقط نحو الجانب الاقتصادي، ولكن نحو نوع آخر من القضايا التي تثير الجدال في الولايات المتحدة الأمريكية، لقد كان هناك ما يُسمّى بالرفاهية والتي توسعت لتشمل قضايا أخرى.

وعندما جاء الرئيس بوش الابن ووصل إلى السلطة، وذلك في إطار تغيير إدارة الرئيس كلينتون التي كانت بعيدة جداً عن تعريف المصالح القومية في إطار أمني. وإذا ما نظرت إلى تلك الفترة التي سبقت هجمات الحادي عشر من سبتمبر؛ فسترى أنه بينما كان هناك اهتمام متزايد بنهضة الصين، وعدم الاستقرار المحلي، وخصوصاً هنا في منطقة الشرق الأوسط، وأيضاً في شمال شرق آسيا وشبه الجزيرة الكورية، وجنوب شرق آسيا، والهند، وباكستان؛ كان هناك العديدون الذين كانوا مهتمين بنمو السلالات الفيروسية للإسلام، والتي تعود إلى الوقت الذي كانت فيه إدارة الرئيس كلينتون لا تزال في المكتب.

وبالمناسبة؛ فإن واحدة من القضايا التي ستظهر في هذه الانتخابات هو عدد الناس الذين كانوا يجادلون سابقاً في إدارة الرئيس كلينتون بأنهم قد أبلغوا المستشارين السياسيين للأمن القومي للرئيس بوش بأن أكبر شيء يمكن أن يقلقه هو القاعدة، وكانت المستشارة السياسية رايس قد لخصت له الأمر، ولذلك فهناك العديد من المناقشات حول من قال؟ وماذا؟ ولمن؟ خلال تلك الفترة الانتقالية من إدارة كلينتون إلى إدارة الرئيس بوش.

ولكن إذا ما نظرت إلى خطاب الرئيس بوش بعدما وصل إلى السلطة تجد أنه كان تقليدياً ، ويهتم بأشياء تقليدية، حيث قال: إننا لا نريد أن نتطرق إلى ذلك، فقد حاولت إدارة الرئيس كلينتون أن تتطرق إلى ذلك ولكنها أخفقت ولم تستطع تنفيذ ذلك، ونحن لا ننوي أن ننغمس كثيراً في شؤون الدول الأخرى. وذلك على أساس أن إدارة بوش قد أكدت شكها في المعاهدات الدولية، وإذا ما عدنا إلى عدم رغبته في التوقيع على معاهدة محاكمة المجرمين الدوليين، وعدم رغبته في التوقيع على «بروتوكولات كيوتو للبيئة»، بالإضافة إلى عدم رغبته في إنهاء بدء المفاوضات حول الأسلحة النووية، ورغبته في توسيع حلف شمال الأطلنطي.

ولذلك فقد كان هناك حديث عن التحركات الأحادية في بدء إدارة الرئيس بوش، وذلك بالطبع في الفترة التي سبقت هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وفي الوقت نفسه كان هناك نوع من الشك في الحلفاء، ولكنه ذلك النوع التقليدي لقلق الأمريكيين حول انغماسهم في شؤون البلدان الأخرى، حتى لو كان

ذلك في الصراعات المحلية، وكما تعرف فإن إدارة بوش لم تكن ترغب في القفز إلى مفاوضات الشرق الأوسط.

ثم جاءت كارثة الحادي عشر من سبتمبر وأصيبت الأمة كلها في مقتل، وتم الوصول إلى تعريف دقيق آخر للاهتمامات الأمنية، وذلك في إطار الأمن القومي. لقد غيرت هجمات الحادي عشر من سبتمبر كل شيء، فهي لم تقم بإعادة إلقاء الضوء على أمور الأمن القومي فقط، ولكنها قامت بإظهارها بطريقة قوية وجديدة أيضاً ؛ وذلك لأن الأمن محل الاهتمام لم يكن أمن القوى الجديدة في آسيا أو أوروبا، ولكنه كان الأمن من التهديد المادي الموجه للولايات المتحدة. وأنا فقط أشير إلى الذكرى التاريخية؛ حيث إنه لم يكن هناك تهديد خارجي باستخدام القوة على القارة الأمريكية منذ عام ١٨١٢م، فقد كان ذلك هو آخر تهديد، ولا نستطيع أن نغفل هجوم اليابانيين على السفينة بيرل هاربور، لكنه لم يكن على القارة الأمريكية نفسها، وكانت هناك هجمات من الغواصات الألمانية المسماة «اليوبوتة» على الساحل خلال فترة الحرب، ولكن كان ذلك الهجوم المادي هو الأول من نوعه على سلطة الوطن، وقد قادت إلى شعورهم الكبير بالهشاشة وقابليتهم للهجوم، وفي هذا اليوم كان الهدف هو التركيز على أمن الوطن .

والآن؛ فإن ما كنت أحاول قوله في تلك الرحلة القصيرة في الأفق: هو أن إدارة بوش لم تكن تلك الإدارة التي وصلت للسلطة لكي تسعى إلى إحداث تغييرات عالمية جديدة؛ وذلك لم يكن في عقله أو على الأقل لم يكن ذلك في عقل الرئيس بوش أو وزير خارجيته كولن باول، ولكن ربما كان ذلك موجوداً في عقل رامسفيلد وزير الدفاع أو في عقل نائبه ديك تشيني أو حتى في عقول بعض من العاملين في مكاتبهم.

كما قلت فإن إدارة بوش تحاول إبعاد نفسها عن محاولة أن تكون الوسيط في اتفاقيات السلام بين إسرائيل والعرب، وفيما يبدو من غير المهم أن يلاحقوا محاولة التكيف مع كوريا الشمالية؛ وذلك على الرغم من وجود انقسامات داخل الإدارة حول هذه القضايا. لقد كانت إدارة بوش في البدء حساسة جدّاً تجاه سياسات إدارة كلينتون ومحاولتها للانغماس في كوريا الشمالية. لقد كانت أولى أخطاء إدارة بوش مع الصين والتي تنظر إليها – كما قلت منذ قليل – بوصفها قوة جديدة تبرز ومنافساً جديداً ، ولكن كان سلوكها نحو الصين تقليدياً ، حيث تعاملت معها في إطار واقعي، كمجرد قلق معتاد حيال الدول القوية الجديدة، ولم تكن تلك القضية لمحاولة إحداث تغيير في نظام الحكم.

لقد غيرت هجمات الحادي عشر من سبتمبر الكثير، حيث قامت إدارة بوش بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر مباشرة بتأكيد حقها في اتخاذ التحركات الأحادية والمبادرات الوقائية ضد الإرهابيين والدول التي تأويهم، وقامت بإخراج الاستراتيجيات والوثائق الاستراتيجية التي كانت قد صدرت خلال الفترة الأولى لإدارة الرئيس بوش الأب، وقاموا بإعادة صياغتها في مكتب وزير الدفاع. وتشيني الذي كان وزيراً للدفاع في إدارة الرئيس بوش الأب، والذي كان مرتبطاً بعدة أسماء مثل بول وولفوتيز، وريتشارد بيرل، وليبي، بالإضافة إلى آخرين، وبمعنى آخر كان يوجد في إدارة الرئيس بوش الأولى الكثيرون الذين كانوا يؤلفون ذلك المذهب الذي ظهر في وثيقة استراتيجيات الأمن القومي لعام ٢٠٠٢م، ولكن تم حفظها في الأرشيف لمدة عقد أو أكثر.

لقد أظهرت تلك الوثيقة ميلها إلى الهيمنة العسكرية، وتم شرح تلك الأفكار في إطار ميل الإدارة إلى اتخاذ الإجراءات أحادية الجانب. وأيضاً كان ذلك الميل إلى التصرفات الأحادية الجانب مفاجئاً ، فبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر لم تكن هناك رغبة في التدخل العسكري لحلف شمال الأطلنطي، ولا في دعمه، في أفغانستان.

لا أريد أن أقول: إن إدارة الرئيس بوش كانت تتسم

بالتصرفات أحادية الجانب في كل نواحي سياستها، فقد أصرت الولايات المتحدة الأمريكية على الدخول في المفاوضات المتعددة الأطراف مع كوريا الشمالية، وذلك عندما أصرت على إدخال كل من اليابان وكوريا الجنوبية والصين شركاء في المفاوضات، هذا بالإضافة إلى أي شخص آخر يود الانضمام إليهم. لقد صرحوا أن إدارة بوش قد استخدمت التحركات الأحادية الجانب للتعامل في العراق، وذلك لدخولها في مفاوضات أحادية أو ثنائية الجانب؛ وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية معها كوريا الشمالية، وهكذا تستطيع أن تستشف السخرية الموجودة هنا إذا ما أعدت النظر إليها مرة بعد أخرى.

لقد كانت إدارة بوش تتحدث عن «ائتلاف الإرادة»، وذلك بانتهاء التجمعات المرنة والخاصة للدول، وقد أصبحت مصرَّة على مهاجمة الصفقات إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، أو إذا ما أرادت ذلك، ولذلك فقد قامت بدعوة كل من الفرنسيين والكنديين إلى هاييتي مؤخراً ، وقد نجحت مؤخراً أيضاً في تلك المواقف مع حلفائها من الأوروبيين، وذلك بالإضافة إلى البرنامج النووي الإيراني، وكانت تسعى إلى الحصول على مساعدة الأمم المتحدة ومساعدة الدول الأخرى في توفير الأمن في العراق؛ مثلما قامت بعض الدول الأخرى بالمساعدة في توفير الأمن في أفغانستان، وهكذا فأنا أريد أن أوضح أن إدارة الرئيس بوش تستطيع أن تصبح انتهازية متى أرادت ذلك.

لا أستطيع أن أقول ما الذي أثار المشاركين المختلفين في إدارة بوش؛ حتى إن كان الأفراد مهتمين فإنك تستطيع النظر إلى كتابين حديثين أو أكثر (انفجار البركان: مجلس بوش للحرب) لمؤلفه جيمس مان، والذي يحلل دوافع مختلف المشاركين، وكتاب لجيمس ليندس وإيفو دالدير، وعنوانه (الحرية الأمريكية)، والذي يحلل الصراعات المختلفة داخل الإدارة الأمريكية.

وكان هناك بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر مباشرة داخل إدارة الرئيس بوش من لاحظوا وجود فرصة لبناء قاعدة سياسية لإجراء تغيير كاسح مع الأعداء، وذلك داخل محور دول الشر. وكان هناك بعض الذين يعتقدون أنه من الأفضل محاربة الإرهاب في الخارج، وأن يكونوا سباقين ووقائيين ومانعين، ورأى بعضهم الفرصة للحصول على أسلحة الدمار الشامل التي اعتقدوا وجودها في العراق، ولتحذير إيران، وليبيا، وكوريا الشمالية، وربما باكستان بسبب تلك القضية.

وأعتقد أيضاً أن بعضهم قد اعتقدوا بوجود إمكانيات أكبر لحل وتسوية النزاع العربي – الإسرائيلي؛ وذلك عن طريق خلع صدَّام حسين، والذي كان دائماً ما يقول: «إن الطريق إلى القدس يمر ببغداد» مكررين ذلك، والذي يرجع إلى فترة التسعينيات عندما انتشرت تلك الفكرة في حرب الخليج الأولى، وأعتقد أن تلك التسويات ستكون أسهل هنا بين العرب والإسرائيليين، وذلك مع إضعاف قوة الجيش العراقي، بالإضافة إلى فتح الشرق الأوسط المتجمد، وأظن أن ذلك قد حدث بعد حرب الخليج الأولى والتي لم تصل إلى نهاية، وربما لم يكن هناك سبب في التفكير في أن ذلك قد يحدث في أعوام ٢٠٠٢م ، أو ٢٠٠٣م ، أو ٢٠٠٤م، وقد يكون هناك بعض الناس الذين يظنون أنه كانت هناك فرصة.

ويجب أن أضع كل أوراقي على الطاولة، فقد كنت مسانداً لتلك الحرب على العراق، ولم أفكر أبداً في أن الأسباب التي أدت إلى الذهاب إلى العراق هي وجود أسلحة الدمار الشامل، ولا أدري ما الذي طاف بذهن الرئيس، لقد أعلن وزير الدفاع رامسفيلد مؤخراً أنه حتى لو لم تكن هناك أسلحة دمار شامل في العراق؛ فإنه كان سيحارب في العراق. وأعتقد أنه كان أميناً بما فيه الكفاية لكي يعترف بذلك.

وإذا ما وضعت نفسي في القالب نفسه؛ فأنا لم أكن لأحلم بأنهم قد خططوا في تلك الفترة التي تلت العمليات العسكرية في العراق كما فعلوا، ولا يوجد

شخص قادر على إقناعي بأنهم كانوا يمتلكون خططاً جيدة لمرحلة ما بعد العمليات العسكرية أو حتى فترة ما بعد العمليات العسكرية الكبرى، فما زالت تعد مرحلة عسكرية. لقد قُتل المزيد من الجنود الأمريكيين منذ ذلك العراك الكبير، الذي ساد العراق، أكثر ممن قتلوا خلال الثلاثين يوماً أو أقل قليلاً التي استطاعت فيها القوات الأمريكية اجتياح العراق من الجنوب.

وعلى كل حال، ومهما كانت الدوافع، أعتقد أنها كانت دوافع مختلطة، ففي الحقيقة أعتقد أنه لم يوجد دافع قوي في أذهان صناع السياسة في هذه الإدارة، وذلك كان هو السبب وراء تأزم الموقف في الشرق الأوسط، والذي أصبح غير محتمل، فهناك المزيد من الدول القمعية والفاسدة في كل ذلك المكان، وما داموا موجودين فسيصبح هذا العالم في غاية الخطورة على الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما نتخلص من صدَّام قد يكون هناك تأثير جيد. فإن حدوث ما يُسمَّى بنشر التأثيرات الديمقراطية، يجب أن يكون لديك ناتج مربح في العراق، وسأعود لذلك في دقائق، وأظن أن ذلك هو الدافع الأساسي وراء الذهاب إلى العراق.

وبمعنى آخر؛ فقد رأى بعض الناس أن هناك فرصة لزعزعة الشرق الأوسط، وربما بدأ ذلك التغيير في سوريا، وإيران، والسعودية، ومصر، وقد كان ذلك الجدال مرتبطاً ببرنارد لويس الذي أعرف أنه قد زار هذا المكان عدة مرات، وذلك بالإضافة إلى فؤاد عجمية وآخرين. ولكن ذلك كان تغيراً ثورياً بالفعل، فإن تلك لم تكن السياسة المعتادة، وقد يشير ذلك إلى التحول ليكون عاملاً لتغيير أساسي وثوري في جزء آخر من العالم، الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا أيضاً . وهكذا فإن ذلك لم يكن السياسة التقليدية والمعتادة، فقد أعطت هجمات الحادي عشر من سبتمبر الاحتمالية لحدوث تغيرات كبيرة في طريقة تفكير السياسة الخارجية الأمريكية.

إن الوثيقة الاستراتيجية للأمن القومي، إذا ما عدنا مرة أخرى إلى تلك الوثيقة، والتي تذكر بعضاً من الأهداف التي لا يمكن أن يختلف معها شخص، وهي: الدفاع عن السلام، والحفاظ على السلام، وتشجيع الديمقراطية، والتشديد على السياسات الاقتصادية، والعسكرية، والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها أيضاً ترى الولايات المتحدة الأمريكية أنها القوة العظمى الكريمة، والسيطرة الخيّرة، وبينما هي تنظر إلى الأرباح من التحركات ذات الأطراف المتعددة؛ فإنها تصر على أن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ومسؤولياتها قد تتطلب القيام بالتحركات الأحادية الجانب، والتي تتطلب بعضاً من التحركات القمعية، وعادة ما يتم ذلك باستخدام أجهزة المخابرات وأجهزة الأمن والدفاع الداخلية، وأيضاً باستخدام التحركات والمبادرات الوقائية بالخارج. وقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بأنها ستحافظ على تفوقها العسكري لمنع حدوث تهديدات عسكرية خارجية.

إن أكثر المقترحات عنفاً فهو ما يُسمى بمذهب بوش وإيمانه بأنهم القوة العظمى، وأنهم يستخدمون قوتهم للترويج والحصول على إذعان وتوسيع ما يُسمّى بالحدود الأمريكية، ولكن ما الذي يعنيه ذلك؟ أيعني ذلك على سبيل المثال أن الولايات المتحدة الأمريكية يجب عليها أن تحاول التوسيع من ديمقراطيتها الحرة لتصل إلى إيران وسوريا؟ وترى أيمكن أن تصل إلى مكان آخر؟ حتى لو رأينا نتائج مبشرة وإيجابية في العراق؛ فأعتقد أنه بالنظر إلى فترة ما بعد الصراع أو فترة ما بعد الصراع الكبير في العراق ؛ فإن العامة الأمريكيين، وربما معظم صناع السياسة الأمريكيين، قد أصبحت شهيتهم على غير ما يرام اليوم، ولا يسعون للحصول على تدخل عسكري كبير آخر. فإن العراق على وشك أن يتغير، أنا أعرف ذلك جيداً ، وذلك على الرغم من أني أضمن ذلك مبكراً للغاية، فأنت تعرف عندما سألونا (جو وأنا) حول تأثير الثورة الفرنسية في السياسة الحديثة؛ أجاب سريعاً : لا يزال من المبكر جداً أن نتحدث عما سيحدث في العراق،

ولكن إذا ما كان أحدكم متفائلاً حول نتائج ما يجري في العراق والتي ستكون ذلك الموقف السياسي المستقر، فيمكنك أن ترفع يدك وتحاول إقناعي، فأنا أظن أن أفضل ما يمكن أن يحدث هو فترة من الفوضى، أو على الأسوأ أن تحدث حرب أهلية واسعة، ومهما كان الذي تبقى في الدولة الوسطى فإن الإجابة هي لا.

وهكذا؛ فأنا لا أعتقد أن صناع السياسة شهيتهم مفتوحة لتدخل عسكري واسع النطاق مرة أخرى، وبالطبع ليس عندما يعني ذلك الاحتلال أو إعادة إعمار سوريا، وإيران والمملكة العربية السعودية، وأنا أضع المملكة العربية السعودية هناك بكل ترو هي وباكستان. وإذا ما كان آخر اثنان يجب أن يتحولوا إلى أسوأ ما يمكن أن يحدث للمصالح الأمريكية أكثر مما هي عليه الآن، وإذا ما كان علي أن أقلق من مكان ما؛ فسوف يضطرب نومي أنا نفسي بسبب باكستان.

إلا أن قلق الأمريكيين يتزايد حول الحدود، والتوسع العسكري والاقتصادي، وإذا ما كان للولايات المتحدة ثقافة حول بناء الدول، أو حتى وجود مجموعة من المواطنين المتطورين الذين يناشدون من أجل إعطاء الوظائف، وذلك على الرغم من ندرة ضباط الخارجية المدربين أو حتى ضباط المساعدة للولايات المتحدة، والذين يتحدثون العربية بشكل جيد بالإضافة إلى الفارسية أو عدد آخر من اللغات.

**والآن أود أن أشير إلى الأشكال البيانية:**

فإن الشكل الأول يهتم بالأولوية الأمريكية، فإذا ما حركنا الرسم البياني من الوضع العمودي إلى الوضع الأفقي، فسوف ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك نصيباً هائلاً من الإنتاج العالمي، والتجارة العالمية. فإن ذلك يمكن أن يطلق عليه شخص آخر «النصيب الأول» أو «النصيب المسيطر».

إن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك نسبة ٢١٪ من الإنتاج العالمي وحوالي ٥١٪ من التجارة العالمية، وإذا ما كنت تهتم بالمخزون الاحتياطي؛ فإنها تمتلك نصيباً صغيراً من مخزون العملات الصعبة العالمية. أما ذلك الشريط الأصفر الصغير، فهو أقل من ٣٪ والذي يمتلك النصيب الأكبر من مخزون احتياطي العملات الأجنبية. ترى من الذي يمتلك أكبر مخزون احتياطي للعملات الأجنبية؟ أهي الصين، أم اليابان، أم تايوان؟ فهؤلاء هم من يمتلكون الدولارات الأمريكية، وذلك لأنهم يديرون فرق التجارة الواسعة مع الولايات المتحدة الأمريكية. والآن: ألديهم أدنى اهتمام في مناداة هؤلاء؟ ربما نعم، وربما لا. ولكن بالنسبة إليَّ إذا ما كنت تنظر إلى ذلك الشريط الصغير، فهم لا يمتلكون قوة اقتصادية مهيمنة.

والآن انظر إلى الشكل الثاني، على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى محرك النمو؛ فهي سوق كبير مفتوح للناس ليصدروا إليها البضائع، وذلك ليس هو عدد القوى الاقتصادية المسيطرة، وإذا ما كنا قد فعلنا ذلك في فترة الخمسينيات أو الستينيات فسوف تجد أن النصيب الأمريكي أعلى كثيراً من الناتج العالمي.

والآن، وإذا ما نظرنا إلى الشكل الذي بجانبه، ترى مصاريف إنفاق الدفاع، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك الدفاع، ومن المهم أن أذكر أن بعضاً من تلك البيانات موجودة بالفعل في مجلة الجورسليم بوست، فإن تلك البيانات التي معي ليست مأخوذة منها، ولكن كانت هناك مقالة قصيرة في الجورسليم بوست تعطي تقريراً حول مصاريف الولايات المتحدة الأمريكية الدفاعية، وذلك مقارنة بمصاريف الدفاع لحلف شمال الأطلنطي. وذلك يعطينا فكرة حول أن الولايات المتحدة الأمريكية ومصاريف دفاعها أقل بثلاث مرات عن مصاريف دفاع حلف شمال الأطلنطي في أوروبا، ولكن في الوقت نفسه فإن الأرقام توضح وجود هيمنة عسكرية أمريكية؛ وذلك لأن المصاريف الدفاعية لحلف شمال الأطلنطي عادة ما تكون مصاريف غير أمريكية لحلف شمال الأطلنطي، وإنما هي لحلف شمال الأطلنطي الأوروبي، أو حلف شمال الأطلنطي الأوروبي - الكندي، فمصاريف

الدفاع عادة ما تكون مصاريف للجنود الذين عادة ما يكونون بلا فائدة، وهذا معناه أنهم جنود بدون عمل، فإنهم ليسوا في الغالب قوات دفاعية محتشدة وعالية المستوى، فالمقدرة العسكرية الأوروبية ضعيفة جـدّاً بالمقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية. فإن حلف شمال الأطلنطي لا ينفق ما فيه الكفاية خارج الولايات المتحدة الأمريكية على القوات المسلحة على أعلى مستوى، وهكذا فإن أرقام هؤلاء الجنود توضح الهيمنة الأمريكية العسكرية بالفعل.

وإذا ما نظرنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، نجد أن مصاريف الدفاع لكل فرد في الولايات المتحدة الأمريكية حـوالي ثـلاث مـرات ونصف من معظم الأربع مرات لحلف شمال الأطلنطي الأوروبي، وإذا ما نظرت إلى أسهم نمو المنتجات الداخلية أو عدد الجنود في القوات المسلحة، فهي ليست ضخمة جداً ولا تظهر هيمنة أمريكية؛ فإنك يجب أن تنظر إلى مستوى المقدرة العسكرية لترى الهيمنة الأمريكية، ثم في الجانب العسكري.

فأنا بالفعل أعتقد أن أحد معاني كلمة «الأولوية» الذي تراه اقتصادياً ، وأنت تراه عسكرياً ، ولكني أريد أن أصر على أن ذلك مجرد جزء من معنى كلمة «الأولوية» فقط وليست معانيها كلها.

**معنى «الأولوية الأمريكية» بالنظر إلى تلك الحقائق:**

لدي مشكلة كبيرة الآن مع أحاديي الجانب، وأنا بالفعل قد اقترحت أنه إذا ما نظرت إلى البيانات الاقتصادية، فانظر إلى المخزون الاحتياطي، فأنت لن ترى شيئاً يشبه «الأولوية الأمريكية». نعم ترى الأولوية العسكرية الأمريكية بطريقة تقليدية. وذلك بطريقة عسكرية تقليدية، مع الجيوش التقليدية. إن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك قوة عسكرية مهيمنة، وقد ظهر ذلك جلياً في العراق إلى حد ما، وتستطيع أن تقول: إن الجيش العراقي لم يكن سوى نمر من ورق لم يتم تدريبه، ولكن مع ذلك لقد كان جيشاً كبيراً جدّاً ، لقد كانت العراق تمتلك الكثير من الدروع الوقائية، الكثير من الدبابات، ولكنها لم تستطع الصمود أمام الغطاء الجوي الأمريكي، والقدرة على امتلاك السيطرة الجيدة، واستخدام القوات الجوية التي تقوم بتدعيم الجيش السريع التحرك والتقليدي. ولكن ذلك ما نعنيه بالهيمنة العسكرية التقليدية والتي أعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلكها، ولكني أريد وضع بعض التحديدات المهمة، فنحن لا نتحدث عن المقدرة العسكرية النووية هنا، ولكن بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك الكثير من القوة النووية، فإن ذلـك النوع أقـل فـائـدة، فـإن الاتحـاد السوفييتي قد يكون قد أنهى قوته العسكرية التقليدية، والتي قد ضعفت، إلا أن دوله ما زالت مسلحة حتى القمة بالأسلحة النووية، وهذا هو حال الكثير من الدول الأخرى، وما زال هناك المزيد الذين يحاولون، وأنا لا أعرف إذا ما كنا سنستطيع النوم أفضل إذا ما كان كل ذلك يدور في أذهاننا، ولكن تكاثر الأسلحة النووية يعني أن كمية كبيرة من الدمار ستحدث حتى في تلك البلاد التي تمتلك هيمنة عسكرية تقليدية ضخمة، وهكذا إذا ما وضعنا ذلك المعنى لكلمة «الأولوية العسكرية» في اعتبارنا، فإنه لا أحد يمتلكها؛ لأن الجميع معرضون للهجوم.

ويوجد معنى آخر لقابلية الهجوم؛ وذلك المعنى غير تقليدي، وحتى الآن لم يظهر فيه استخدام الأسلحة النووية، وذلك إذا ما كانوا يقولون: إنه بدون أسلحة نووية.. فمن يـدري! وذلك بالطبع هو ذلك النوع من الإرهـاب الـذي رأيناه في هجمات الحـادي عشر من سبتمبر، وما عشناه في مدريد، إن كل المجتمعات الحديثة عرضة للهجوم بشكل كبير من قبل كل الإرهابيين بدون فرق يذكر، وبدون إنذار. وأفغانستان لن تتكرر مرة أخرى؛ فقد كان لها محل إقامة، وكان هناك شخص ما تستطيع أن تذهب إليه؛ لأنهم كانوا يمتلكون مأوى آمن ومرفأ أمان لأسامة بن لادن، ولكن لن يكون من الواضح المرة القادمة مكان المأوى

الآمـن، وهكذا فإن الهيمنة العسكرية ستكون أكثر خشونة من أن يتم ترجمتها إلى الفعالية السياسية إلا إذا كنت ترغب في ذلك؛ فإذا ما كنت تعتقد أن ذلك من قبيل المنع؛ فقم بإزالة الأهداف المدنية والآلاف من الأبرياء تحت دعوى الثأر من الإرهاب، وأستطيع أن أعدد لك الكثير من الأمثلة البغيضة إذا ما أردت أن أذكر لك ذلك فإننا جميعاً نعرفهم، ولكن إذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية أو شخص آخر يرغب في أن يقوم بذلك تحت ظروف ما فلا أعرف ولا أرغب في أن أذهب هناك للتفكير في ذلك بطريقة أو بأخرى.

وهكذا فإن هناك المزيد من القوى النووية أكثر مما كان موجوداً منذ عشرين أو ثلاثين عاماً مضت. وكانت إحداهما بالفعل هي كوريا الشمالية فإن العديد من القيود الجديدة نسبياً ، والأنشطة المقيدة ضدها؛ بسبب احتمالية وجود الأسلحة النووية، فلا أظن أنها تمتلك الأسلحة جاهزة ومستعدة للإطلاق، وربما كانت تمتلكها، من يدري، لا أعرف، ربما يكون ضباط مخابراتنا يعرفون ذلك جيداً ، ولاشك أنهم لا يعرفون ذلك على وجه اليقين، وكما قلت فإنه حتى الدول التي لقواتها التقليدية الكثير من الاحتكاكات مثل روسيا، لا تزال قادرة على إحداث الدمار الواسع باستخدام الأسلحة النووية؛ وكذلك تستطيع الصين، وستفعل مثلها كل من الهند وباكستان، وبعض من الدول الأخرى التي نستطيع ذكرها.

وهكذا؛ فإذا لم يكن باستطاعتك أن تمنع الإرهاب باستخدام القوة التقليدية، فإن فكرة «الهيمنة العسكرية» أو «الأولوية» تعتبر فكرة محدودة على أفضل الأحوال، وكما حاولت أن أقترح من قبل فإن أفغانستان كانت مضطربة وليست رؤية للمستقبل. إن معظم الدول والتي تتضمن تلك الدول التي تساند الإرهاب لن تكون واضحة جدّاً أو حتى مباشرة في المستقبل؛ بالإضافة إلى تلك الدول التي توفر الملجأ الآمن للإرهابيين. وذلك ليس بالأهداف ولا بالأماكن فهم إرهابيون، وجيوش، متنوعون فسوف يتم منعهم باستخدام تحركات الشرطة، وأجهزة المخابرات، ولكن ليس باستخدام القوة التقليدية التي قمنا باستخدامها في العراق، ولذلك فإن الرئيس بوش قد تحدث عن بدء الحرب ضد الإرهاب، ولكن ذلك ليس من السهل تنفيذه باستخدام الطرق العسكرية التقليدية، ولذلك فإنها تثير ذلك السؤال الذي بدأته: أتتحرك إلى أماكن أخرى والتي تقوم بدعم الإرهابيين أو جمعياتهم؟ وإلى أين تريد الذهاب؟ وما التكاليف التي تستطيع تحملها؟ وهكذا فسأحاول الآن الانتهاء من ذكر بعض الأفكار.

فإنه لا يبدو لي أن إعادة إعمار العراق من الخراب الناجم من الحرب، وإذا كان ذلك من الممكن أن يحدث، فأنا لا أعرف إذا ما كان ذلك سيحدث، وأنا أقول إمكانية متواضعة في الوقت الحالي فليس في الإمكان منع الإرهابيين، وذلك إذا ما كنت تؤمن كما يقول رئيس الوزراء الإسباني بأن «العراق قد أعطت قوة دافعة للإرهاب»، بالإضافة إلى الآخرين الذين حاكوه، وأنا لا أصدق ذلك على وجه الخصوص، ولا أظن أنها مهمة إلى ذلك الحد، فأنا لا أظن أن معظم هؤلاء البشر لديهم أهداف محددة في أذهانهم، فلو قال أسامة بن لادن «الأندلس ملكنا»، فأنا لا أعتقد أنه يهتم بالتفكير فيما إذا ما كانت إسبانيا تمتلك قوات في العراق ولكن ليس طويلاً ، أو لا تمتلك قوات في العراق. فقد يهتم قليلاً ولكن ليس لفترة طويلة.

وهكذا، فإن السؤال مرة أخرى، حتى لو كنت ناجحاً مع تلك الدفعة نحو الديمقراطية؛ فماذا سيكون تأثيرها؟ وأنا لا أحاول أن أقترح ذلك وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس لها حصة مالية في العراق، ولكني أعتقد أنها تمتلك حصة مالية كبيرة جداً في العراق بالفعل. ولكني لا أعتقد أنه حتى أي محاولة ناجحة لإعمار العراق قد تضع حداً أو نهاية لتلك القضايا العالمية الجارية حول الإرهاب.

والآن إذا ما نظرت إلى القوة الأمريكية وما هي جيدة بالنسبة إليها. والتي تعد في غاية الأهمية بالنسبة إليّ هي

قضية الـ ٦٤٫٠٠٠ مليون، والتي أحاول الوصول إليها، فأنت تمتلك الكثير من القوة، فما هي وجه أهميتها؟ فما الذي تستطيع أن تجبر الناس على فعله؟ فهذه هي قضية القوة، فإذا لم تكن تستطيع إقناعهم؛ فكيف ستستطيع إجبارهم على فعل ذلك؟ فأنا أستطيع أن أفكر في العديد من الأشياء، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد مرت بوقت عصيب في أثناء محاولتها لإخضاع الدول الأخرى للقيام بعدة أشياء، فعلى ما يبدو أننا لا نستطيع إجبار الصين على تغيير سياساتها المالية أو إجبارها على تغيير سياسة المعونات المالية الزراعية.

إن مصطلح «الإمبراطورية» لا يمكن تطبيقه بشكل جيد على الولايات المتحدة الأمريكية، ونحن لا نحاول أن نحدد السياسات الداخلية أو الخارجية للدول الأخرى؛ حتى لو كانت تلك البلاد تحتاج إلينا بشكل ملح، وكان لدينا تأثير كبير فيها، انظر إلى المكسيك على سبيل المثال؛ فنحن لا نملك تأثيراً كبيراً فيها في العديد من المجالات، فنحن لا نملك فعل شيء حيال كل هؤلاء المهاجرين الذين يغادرونها إلينا، ونحن قادرون على إسداء النصائح حول السياسات التجارية والاقتصادية الداخلية. وفي بعض الأحيان يتجاهلنا المكسيكيون تماماً ، وفي أحيان أخرى لا يتجاهلوننا. حتى جمهورية كوريا والتي تستمر في حشد أكثر من ٤٠٫٠٠٠ جندي أو ما يزيد، فنحن ليس لدينا سوى تأثير قليل جداً فيها، فعلى ما أعتقد أننا نمتلك تأثيراً كبيراً على سياساتها الداخلية، وليس لدينا تأثير في سياستها الخارجية أكثر من ذلك.

أنا أستطيع إعطائك الكثير من الأمثلة على ذلك، وهكذا إذا ما فكر أحدكم في الائتلافات، والحلفاء، واستخدام المؤسسات ذات الأطراف المتعددة، وأنا حيادي جدّاً حيال ذلك، ولا أعتقد أن الائتلافات يجب أن تسيطر على العملية، وهكذا فأنا أتفق مع إدارة بوش حول ذلك. ولكن العملية كانت متأثرة بالائتلافات، وأنت تحتاج إلى العديد من شركاء الائتلافات في هذا العالم، وهنا فأنا أفكر ما هذا الذي نراه؟ أتكون الحقيقة هي أن إدارة الرئيس بوش ستعود لاستخدام المواقف متعددة الأطراف، والسبب وراء ذلك يعود في جزءٍ منه إلى التشارك في الأعباء؛ وذلك لأن تلك المهام معقدة جدّاً ، وذلك إذا ما كانت المهام مثل محاولة الحصول على جولة أخرى لمنظمة التجارة العالمية، والتي تحتاج فيها إلى الكثير من الشركاء لكي يتعاونوا معاً ، ويقوموا بأعمال إعادة إعمار العراق أو أفغانستان فكلها في حالة فوضى، ومرهقة، ومكلفة، ولذلك فسوف تتحرك الولايات المتحدة الأمريكية إلى الخلف وتضع نفسها في حالة المفاوضات مع العديد من الحلفاء، ومهما كان أي شخص يفكر في المؤسسات ذات الأطراف المتعددة، ولا توجد لدي أيديولوجية معينة حيال ذلك.

فإذا ما تحدثنا بشكل عملي، فإننا في حاجة ماسة إليهم، ونحتاج إلى استخدام المؤسسات الدولية، والمعاهدات، والأُطُر القانونية التي توجد بالفعل، وإذا ما كنا نهتم بهم أم لا، ولكن الآخرون يهتمون بالقيم التي يمثلوها؛ وتلك تُعد حقيقة، وأنا أعتقد أن هناك مشكلة واحدة أريد من إدارة بوش أن تتفقدها هي كما أعتقد، في العراق وأماكن أخرى، وذلك فيما جاء في ذهن المفكرين السياسيين أن هناك نوعاً من المشاركة في القيم والتي كانت قائمة بذاتها، ولكن ليس هناك ما يُسمَّى القيم المشتركة والتي تعد شيئاً له كيان في هذا العالم. ولكن إن ما هو غريب حول العالم هو كيف أن القيم القليلة الأهمية يتم مشاركتها، وحتى تلك التي قد يتمسك بها الناس بشدة.

والآن؛ فأنا أعتقد أن هؤلاء الناس في إدارة الرئيس بوش والذين يمكننا تسميتهم «المحافظون الجدد» سينتهون إلى ما انتهى إليه الواقعيون النفعيون، وأعتقد أن هذا هو ما يحدث بالفعل في العراق، فهم بالفعل قد وجدوا أن الاعتمادات المالية المخصصة لإعادة إعمار العراق، وأفغانستان، بالإضافة إلى أشياء أخرى، فأنت تحاول تأدية هذا كله، لذا تقتطعه من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين في الوقت نفسه،

وأنت لا تحاول إرهاق نفسك بالبحث عن الأموال الحاكمة لفعل ذلك؛ ولهذا فإن بعض الناس يقولون إن هذه هي اللحظة الحاسمة للأمر - يمكن - واللحظة المهمة في التاريخ - بلى -، فقد تكون لدينا جزء كبير من المسؤوليات أكثر من أي دولة أخرى، نعم ففي بعض الأحيان نستخدم مصطلح مادلين أولبرايت «إن الولايات المتحدة الأمريكية هي دولة لا مفر منها، ودولة مهمة لنا وللدول الأخرى»، ولكن تلك اللحظة التاريخية يجب أن تكون متشاركة ولا يمكن أن تحظى بها دولة منفردة.

إن التحدي السياسي الأكبر الذي يواجه الولايات المتحدة الأمريكية على ما يبدو لي هو تكاثر أسلحة الدمار الشامل، بالإضافة إلى تكاثرها مع الدول والجماعات، وإذا ما كانت أسلحة الدمار الشامل تلك في أيدي دول خشنة أو في أيدي الحركات التي قد تبيع تلك الأسلحة أو توزعها، ومرة أخرى؛ فإن هذه هي القضايا التي يمكن التعامل معها في إطار جماعي مكون من عدد من الدول. وذلك لا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستخدم التحركات الرادعة مرة أخرى. فإذا ما فعلنا ذلك، فسوف نحاول، وأنا متأكد، أننا سنجعل الآخرين يتقدمون ويدعمون موقفنا وما نفعله، وإذا لم يفهموا فسوف نتصرف بما يحقق الأمن لنا.

ولكن وجه التناقض هو كما أظن أنه ما اعتدنا أن نسميه «الويلسونيون الجدد» قد أصبح في اليمين في الولايات المتحدة الأمريكية، وليس في اليسار. وقد كان من المعتاد أن يكون ذلك هو الجناح الأكثر تحرراً في السياسة الخارجية الأمريكية، والتي رأت أن تلك القيم متمسكة بنفسها؛ ولأن الناس الذين يؤمنون بها على الجانب الذي يرونه صحيحاً ، ويرون -كما قلت- القيم أو أنهم يفهمون تلك القيم على أنها قائمة بذاتها ولكنهم ليسوا كذلك، فإنهم عادة لا يملكون الصبر الكافي للاقتناع، وأعتقد أن ذلك قد يؤدي إلى سياسة سيئة جداً .

والآن فأنا لا أقول: إن إدارة الرئيس بوش تحاول إقناع العراق، بل حاولت، ولكنها مُنيت بالإخفاق إلى حدٍّ ما؛ وذلك بسبب تصرفاتها السياسية أحادية الجانب في عدد من المناطق.

**في نهاية حديثي؛ أتحدث عن بعض النقاط في إطار ما تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تفعله في العالم:**

إننا نمتلك جيشاً مجهزاً على أعلى مستوى، ولكننا لا نمتلك خدمات مدينة مؤهلة عبر المحيطات، وأعتقد أيضاً أن ذلك كان واضحاً جداً في العراق. فإن الولايات المتحدة الأمريكية تكون مترددة عندما تقوم بإعادة إعمار الدول، وعادة ما نقوم بإرسناد ذلك إلى المقاولين المهمين، والمنظمات العالمية، وأن نهمل الأفكار حتى في بعض الجماعات، وذلك عندما نقوم بإهمال ما تقوم به العمليات العسكرية من مهام في المدنيين بالعراق. وإذا ما تحدثت عن ذلك كثيراً فسيؤدي إلى الكثير من الفوضى؛ فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع بناء مقدرة على التخاطب أو حتى تحاول معرفة الضروريات الثقافية، والسياسية، والاقتصادية لكي يقوموا بأداء الخدمات المدنية، فإن المتخصصين المدنيين الذين يستطيعون العمل عبر المحيطات وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط، وآسيا المركزية.

وهكذا فإذا ما كانت تلك فكرة ضرورية ومهمة للمسؤوليات العالمية؛ فإنها لم تهتم باستثمارها بكثرة في النوعيات المدنية، والتي يجب أن تكون موجودة لكي يقوموا بتطبيق تلك المسؤوليات ويتحملوها، وأضيف الخدمات السرية إليها أيضاً .

ترى ما هي الاستنتاجات التي أستطيع استخلاصها حول سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط؟ فأنا كنت أتحدث حولها بطريقة خاصة. وأول ما تطرقت إليه هو أنني لا أرى ميلاً داخل الولايات المتحدة الأمريكية في التورط في تدخلات

عسكرية طويلة المدى، على الأقل باستخدام القوات الأرضية في الشرق الأوسط. والموانع والعقبات أمام توسيع رقعة الديمقراطية، أو ما كانت إدارة بوش تسميه في البدء بـ«توسيع الحدود»، فمن الواضح أنه سوف يكون محدوداً بسبب المشكلات التي حدثت في العراق. وقد كانت تلك المشكلات موجودة دائماً ، ولم يكن من السهل ملاحظة وجودها في السابق، ولكن بالطبع من السهل ملاحظة وجودها الآن. ولذلك فإن فكرة أن يقوم شخص بشن عمليات عسكرية واسعة النطاق، على ما أعتقد، ليست موجودة في خطط الآن، أو حتى على العراق، وبالمناسبة إذا ما نظرنا إلى التمدد العسكري؛ فإن العديد من الوحدات التي كانت تلتف للخروج من العراق سيعودون مرة أخرى إليها، فعندما يقوم الناس بالانضمام إلى الحرس الوطني للولايات المتحدة الأمريكية لا يقومون بالتعاقد لمدة أشهر أو لعام واحد في بغداد أو في الموصل، فهم يعتقدون أنهم لن يقوموا بجني المال الكافي، ويؤدوا الواجب المطلوب منهم، فأنا سأفعل ذلك وذلك، ولكن العائلات لا تعتقد أن الناس سيجلسون هناك لمدة عام مع سقوط كل تلك الضحايا، فإن ذلك يعد قضية سياسية كما يعد قضية عسكرية في الوقت نفسه.

أيتوسع جيش الولايات المتحدة الأمريكية؟ نعم فأنا أعتقد أننا سنرى بعض التوسعات في القوات الأرضية في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن ذلك سيحدث عندما تُقتطع أموال من دافعي الضرائب، فإن الرئيس عليه أن يقوم بتغيير سياسته الاقتصادية إلى حدٍّ ما، وهكذا فإن على الجيش التوسع عندما يحاول ذلك عند محاولة الدخول في تدخل عسكري آخر في أي مكان فإنها تستطيع القيام وذلك عسكرياً ، ولكن إذا ما استطاعت البقاء من أجل إعادة الإعمار؛ فسيكون سؤالاً مهماً بالفعل، فأنا بالتأكيد يمكنني أن أتخيل استخدام الجيش الأمريكي لتدمير المنشآت النووية إذا ما عرفنا أنها توجد، أو إذا ما وقعوا في أيدي من لا يجيد استخدامها، فأنا بالطبع أستطيع تخيل امتلاك آبار البترول ولكني لا أستطيع تصور، فأنا أحاول اقتراح إجابة للعراق ولكني أعتقد أنها لن تلقى الدعم الكافي.

ونقطة أخرى أريد أن أختتم بها حديثي، ولكنها مرة أخرى ترتبط بقبضة القوة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية، والتي تمتلك اهتماماً كبيراً بإنشاء الاستقرار هنا، بين العرب وإسرائيل أن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، ولهذا الأمر، فإن على باقي العالم الإسلامي الاهتمام به بدون مثل تلك الإنشاءات وحتى إذا ما تم إنشاؤها، أن صدام، أو مثل ذلك الأمر أن أسامة بن لادن قد أتى وغادر، أما القضية الفلسطينية فلا تزال موجودة، فهي لا تتعارض مع ما أقوله، فإن الإخفاق في الحصول على استقرار هنا يُضعف موقف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وأعتقد أن على المرء تقبل ذلك، وأنا قد أقول الشيء نفسه للهند، وباكستان بخصوص قضية كشمير. فإن هؤلاء الممثلين سيظلون الممثلين الرئيسيين، وليس الخارجيين، ولكن كل تلك الصراعات المحلية العسيرة لها عواقبها البعيدة فيما وراء تلك المناطق نفسها ،ولها عواقبها بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في وطنها الأصلي.

إن الولايات المتحدة الأمريكية الآن تُعد في خط المواجهة، ولا يستطيع أحد أن يقول خلاف ذلك، فهي في مواجهة خطيرة في البلد وفي العالم كله، وفي بعض الأحيان قد تصبح رهينة للصراعات المحلية التي توجد، وذلك إذا ما كانوا هنا أو في جنوب غرب آسيا أو جنوب الفلبين، أو حتى إذا ما كانوا في البلقان.

إن الولايات المتحدة الأمريكية، وكما قلت، لا تعرف في العديد من الأحيان كيف تقوم بإيجاد نوع من الاستقرار، أو لا تستطيع استخدام قوتها لتحاول وتقوم بإنشاء استقرار في تلك القضايا المحلية، وذلك لكي تصبح دولة كبيرة قوية لا يعني «الأولوية»؛ وذلك هو ما أحاول قوله هنا، فإن ذلك لا يسمح لشخص بالانغماس في الصراعات المحلية، وهذا مفهوم، فيمكنك أن تقايض على مثل تلك الصراعات،

فيمكنك أن تعطي للناس بعض المدفوعات الجانبية، ويمكنك أن تدعم الاقتصاد والأمن، ولكنك لا تستطيع إخضاع الممثلين وإجبارهم على شيء ما، ولذلك فأنا أعتقد، وذلك مع وضع «الأولوية الأمريكية» في الاعتبار، حاولت إلقاء بعض الماء المثلج على ذلك المصطلح، وحاولت اقتراح أن هناك بعض الضعف المختفي وراء تلك الفكرة، فإن كلاً من الجانبين الاقتصادي والعسكري موجودان إلى حدٍّ ما. فأنا أحاول بيان أن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ليست منظمة جدّاً لكي تتحمل إعادة إعمار العراق، ولكن من الممكن تصور مشاركة الدول الأخرى.

وقد حاولت في النهاية أن أقترح أنه من الصعب على الولايات المتحدة الأمريكية الدخول في الصراعات المحلية الموجودة، والتي تؤثر في مكانة سياستها الخارجية، وتقوم بالربط بين ذلك وبين ذلك النوع من الاستقرار، وأن كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية، وفوق ذلك كله أن كل الممثلين أنفسهم يستطيعون التعايش معها. وهكذا وبعد كل ما قلته فأنا أشكك في فكرة «الأولوية الأمريكية».